خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٦ من رمضان ١٤٣٦ هـ / ٣ من تموز ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى يوم الدين.

من اعتمد على علمه ضلّ، ومن اعتمد على عقله اختلّ، ومن اعتمد على سلطانه ذلّ، ومن اعتمد على ماله قلّ، ومن اعتمد على الناس ملّ، ومن اعتمد على الله، فلا ضلَّ ولا قلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ ولا اختلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عزَّ وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

معاشر السادة: ترمق الأعين سيرة النبي الكريم وصحابته الأبرار لتقرأ في صحائفها معالم الأسوة الحسنة، ولتلمح في ثناياها طرائق الجهاد المنطوي على أروع صور التضحية وأصدق مظاهر الكفاح، لا لمغنم زائل بل في سبيل الله وإعلاء كلمته، وموقعة بدر من بين أحداث السيرة الحافلة، ما إن يُطالع المرء أنباءها ويستعرض مقدماتها ونتائجها حتى يُحِسَّ لها منزلة خاصة، وحتى يدرك أن التاريخ أودع في فصولها سِرَّاً تكتنفه الهيبة، وجعل من أدوار القتال فيها ومن الإعداد له ثم الانصراف عنه موعظة خالدة لا تفتأ تتجدد ذكراها ما بقي في الدنيا صراع بين الحق والباطل.

إن كتب السيرة أحصت الذين اشتركوا في بدر من جند الحق، وسجلت أسماؤهم واحداً واحداً، فأصبح كل اسم بهذه المنقبة التي لازمته خالداً تتناقلوه الأجيال، ولكن لم هذا؟ ولماذا تأخذ غزوة بدر ذلك الوصف المجيد وهذا الأثر البعيد؟ وكيف تكون بدر موقعة حربية معدودة مع أنها لم يحتشد لها إلا بضع مئات من الناس، ولم تستغرق إلا يوم أو بعض يوم؟ على حين نجد تاريخ الحياة في ماضيها وحاضرها زاخراً بالوقائع التي تساق إليها الألوف المؤلفة، والتي تظل دائرة الرحى الشهور الطوال تعصف عليها ريح الموت آناء الليل وأطراف النهار، فما تكون موقعة بدر إلى جانب هذه المواقع الطاحنة؟

لا شك أن هذا كلام له بواعثه بل له وجاهته عند من يقيسون الأشياء بأحجامها، وعند من ينظرون بالأمور إلى كمها لا إلى كيفها، بلى إننا نضع بدراً في عداد هذه المعارك الهائلة، وقد نرى كفتها ترجح

بكثير منها، وما ظنك بموقعة يَكون مَصيرها هو الفاصل في عبادة الله على هذه الأرض، هل ستبقى أم ستفنى؟ ويَشعر قائد المعركة هذه الحقيقة الحاسمة الخطيرة، فهو يُؤكدها بقوله، فقد روى أصحاب السيرة أنه لما كان يوم بدر نظر الرسول ﷺ إلى المشركين وهم نحو الألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ومد يده داعياً: ((اللهم آتني ما وعدتني، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تغلب هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض)) وما زال يدعو حتى سقط رداؤه عن منكبيه، وحتى نزل الوحي مُطمئناً له: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] وما ظنك بموقعة يكون القتال فيها بداية لسلسلة من المعارك تشتعل نيرانها في التاريخ، تشتعل نيرانها في البر والبحر، ويحتدم النزاع فيها بين الحق والباطل، وتهتم بخوضها والتعبئة لها أمم المشرق والمغرب، هذه السلسلة من المعارك التي خاضها المسلمون من بعد في فارس والروم وفي الصين والأندلس، لا تَحسب الصلة مَقطوعة بينها وبين بدر، لا، إنها صلة النسب المتين بين الأصل ونتائجه أو بين الأب وذريته، فكأن أول سيف شُهِرَ في بدر إيذان بابتداء النضال المسلح بين الباطل المتكفر والحق الذي يريد أن يقمعه، كل ما انتهت معركة قامت أختها، ولذلك يقول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنا أول من يجلس للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة، ذلك أن الله يقول: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩-٢١] وهؤلاء الخصوم كما تحدث أبو ذر هم علي وصحبه الذين بَرزوا يوم بدر يُجالدون بسيوفهم أئمة الكفر، فيقتلونهم جميعاً، ويفقدون عبيدة بن الحارث ليسبقهم إلى الجنة، ثم يُدركه بعد قليل حمزة في أحد، ثم يُدركه بعد سنين علي، ثم تتابع سلسلة الشهداء من أجناد الحق إلى قيام الساعة.

إن موقف الفريقين في هذه المعركة يُمثل التناقض الكامل، فإن المشركين قد خَرجوا في تَعبئة تامة، وفُصلوا عن مكة وهم متأهبون لقتال عنيف، ومع انتهاء السبب الذي خَرجوا من أجله وهو النجاة بالقافلة، فإنهم أصروا على القتال الذي استعدوا له ووثقوا بنتيجته، ورغبوا أن يَقرع آذان العرب نبؤه، أما المسلمون فقد كانوا يُهاجمون طرق التموين التي يعتمد عليها أهل مكة، ويَفرضون نوعاً من الحصار الحربي على ما يَستند إليه هؤلاء الطغاة من موارد غنية وهم قد خرجوا لاعتراض قافلة لا شوكة لها يعتبر الاستيلاء عليها غنيمة بارزة، ولذلك لم يأخذ الأهبة لقتال حتى فاجأتهم الحوادث بنجاة القافلة، وبمجيء صناديد قريش وأبطالها يتحدون هؤلاء المعترضين، ولم يكن بد من قبول هذا التحدي، وإلا ضاعت هيبة المسلمين.

معاشر السادة: إن المرء قد تفجؤه أحداث عابرة وهو ماض في طريقه، يحتاج في مواجهتها لأن يستجمع مواهبه وأن يستحضر تجاربه، وأن يقف أمامها حاد الانتباه مُرهف الأعصاب، وهذه الامتحانات المباغتة أدق في الحكم على الناس وأدلّ على قيمهم من الامتحانات التي يَعرفون ميعادها ويتقدمون إليها واثقين، وكأن غزوة بدر تُريد أن تعلم أصحاب الحق دَرساً أنه يَجب على الإنسان أن يُوطن نفسه على احتمال المكاره دون الضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة، يجب أن يظل موفور الثقة بادي الثبات لا يرتع لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعتها أخرى وأخرى بل يَبقى موقناً بأن موارد النصر لا بد آتية، والصبر عند الشدائد مِن عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة، فإن أثقال الحياة لا يُطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يُريد نقله لم يَستأجر أطفالاً أو مرضى أو خوارين، إنما يَنتقي له ذوي الكواهل الصلبة والمناكب الشداد، كذلك الحياة لا يَنهض برسالتها الكبرى ولا يَنقلها مِن طور إلى طور إلا رِجال عَمالقة وأصحاب صابرون.

لقد واجه البدريون عقبات عديدة وقاسية منها: عدم التهيؤ، ثم قلة العدد، ثم سوء الموضع، فقد نزلوا بكثيب أعفر تغوص فيه الأقدام وحوافر الخيل، ونزلوا على غير ماء على حين سبقهم المشركون إلى ماء بدر، ولكن القدر الأعلى ﷻ كان يدفع الأمور في مجراها الذي أعده إعداداً محكماً، فها هو قد جمع الفريقين على غير موعد فقال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ [الأنفال: ٤٢] وها هو ذا يُغري كليهما بالآخر ويجعله يرى عدوه ضئيلاً قليلاً ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤] وها هو ذا يَبعث الشيطان لينفخ روح الغُرور في أتباعه، ولِيَصيح بهم قائلاً: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُم﴾ [الأنفال: ٤٨] أما في معسكر المؤمنين فإن الأمور كانت تَجري بسرعة عجيبة، فقد قام المهاجرون يتبايعون على الموت، والأنصار يعلنون حبهم ووفاءهم لله ورسوله، وتمثل بذلك بموقف زعيمهم سعد بن معاذ، حيث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض بما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نَكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لَصُبُر في الحرب صُدُق عند اللقاء، لعل الله يُريك منا ما تقرُّ به عينك، فسر على بركة الله. وهكذا جرفت موجة الإيمان عوامل التردد كافة، وأنست المسلمين ما بينهم وبين عدوهم من فوارق

مادية شاسعة، وأملوا في الله نصره القريب، وتدخلت الإرادة العليا في إدارة المعركة، حيث أمطرت السماء وتغير الجو، واستقى المسلمون واستراحوا من عناء يومهم، ونشطوا للقتال المنتظر بعدما جمدت الرمال تحت أقدامهم، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١] وجاءت الساعة الرهيبة، وجرى القتال بين الفريقين، وسرعان ما انكشفت المعركة عن نصر مؤزر للمسلمين، هذا النصر كانت له أسبابه، فللحالة الجوية دخل عميق في تصريف المعارك، وللحالة المعنوية أثر قاهر، فقد وَفَّرَ الحق لحزبه كل هذه الأسباب بعد ما أدوا واجبهم كاملاً، وقد لفت القرآن البدريين إلى هذه الحقائق عندما خاطبهم بقوله سبحانه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٧- ١٨].

معاشر السادة: نَعيش في ظِلِّ غزوة بدر في هذه الأيام وفي هذه الساعات المباركة، هذه الغزوة تُعلم المسلمين دروساً عظيمة وجليلة على مر التاريخ، فَهِيَ المصدر الْمُشَرِّع لكل معركة تَحدث على وجه الأرض، هذه الغزوة تُريد أن تُعلم أصحاب الحق أن الحق يَنصره الله عز وجل ولو بعد حين، وأنَّه يَخذل الباطل وأهله مَهمَا علوا في الأرض وتمادوا ومهما أوتوا من قوة وعتاد، فالباطل الظالم المعتدي الجائر يَجول في الأرض جولة وجولتين وثلاثة، لكنه في النهاية لا يَنصره الله، لأن الله مِن أسمائه الحق، فإن الله ينصر الحق وأهله ولو بعد حين، فمهما تكالب الأعداء ومهما علوا في الأرض فإن مصيرهم يكون على أبسط الأمور، ويكون بمعجزة وآية من آيات الله ﷻ، يُعلمها للإنسانية جمعاء على مر التاريخ، أنه ينصر الحق وأهله ولو بعد حين.

ألا ترى أيها السوري إلى الجيش العربي السوري، هذا الجيش العملاق هو يُشبه جنود غزوة بدر، ألا ترى إلى هذا الجيش الذي يتحدى ما يَزيد عن ثمانين دولة دَعمت بالمال والعتاد والمرتزقة من أجل دمار هذا الوطن، لكن هذا الجيش العملاق هذا الجيش المتماسك كالصخور في الجبال الصماء، هذا الجيش الذي لم يتزعزع هذا الجيش الذي لم يفقد صوابه، وقف بأعجوبة حتى أصبحنا نرى أعداءنا يقولون: إن صمود الجيش العربي السوري هو أسطورة من أساطير هذا الكون، لماذا؟ كل ما أوتي المعتدون وكل ما أوتي أهل المكر والغدر من قوة وعناد، أرادوا أن يدمروا هذا الوطن، وذلك من خلال تفكيك جيشه، من خلال دمار جيشه، من خلال الإشاعات الباطلة التي وزعت عن جيشه، أنهم ممزق، أنه منحل، أن الكثيرين

منشقين، مع أننا لم نؤمن بكلمة الانشقاق، إما خائن وإما شريف، كلمة انشقاق لا نقبلها على الإطلاق، إما خائن وإما شريف، ومع هذا وذاك فإن الجيش بقي سالماً من هذه الآفات الخطيرة التي روج أعداؤنا لها، في الكثير من المحافل والقنوات الإعلامية المضللة، فإن جيشنا هذا الجيش المعطاء هذا الجيش العقائدي الذي يَقف اليوم في السهول والجبال والوديان وفي الحر والبرد يدافع عنك أيها السوري، يقف عناصر الجيش على الحواجز في الشتاء وفي الصيف حتى يُؤمنوا راحتك، حتى يؤمنوا سعادتك، حتى يَصونوا ويحرسوا أموالك، فواجب عليك أن تُقَدِّر وُقُوفَهم، أن تُقَدِّر تضحياتهم، أن تُقَدِّر شهداءهم، أن تُعَظِّم جَرحَاهم، لأنهم يُدافعون عنك، يُدافعون عن القومية العربية، يدافعون عن قضية فلسطين، يُدافعون عن شرف الأمة العربية والإسلامية، فإننا نتوجه بالتحية والإجلال إلى رجال الجيش العربي السوري المقاومين الصامدين، نتوجه بالتحية والإجلال إلى رجال المقاومة اللبنانية الشرفاء المتمثلة بحزب الله، نتوجه بالتحية والإجلال إلى كتائب حزب البعث العربي الاشتراكي، نتوجه بالتحية إلى كل شريف حمل البندقية ليدافع عن سورية لا ليدمر سورية، حمل البندقية ليدافع عن أبناء وطنه لا ليقتل أبناء وطنه.

نعم أيها الإخوة، نعم يا سادة، نحن في هذه الأيام ما أحوجنا أن نتمثل قيم ومعاني غزوة بدر الكبرى، هذه الغزوة التي حَملت في طياتها وحملت بين جوانبها من الدروس والعبر، يَطول الحديث عنها كثيراً كثيراً، مَهما تكلمنا ومهما خطبنا، ومهما كتب الكاتبون وتكلم المتكلمون، فإننا لا نؤدي حق هذه الغزوة المتواضعة في رجالها والمتواضعة في عتادها، والتي وقفت وقفة حق أمام شوكة العناد والكفر والإلحاد، لِيُبين الله ﷻ على مر التاريخ والأزمان أن الله من أسمائه الحق، وأنه ينصر الحق وأهله ولو بعد حين، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانـــية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تبارك لنا في شهر رمضان، وأن تُعيننا فيه على

الصيام والقيام وغض البصر وحفظ اللسان، وأن تَجعلنا فيه من عتقائك من النيران، اللهم اجعل القرآن الكريم رَبيع قلوبنا وشفاء صدورنا ونور أبصارنا وذهاب همنا وحزننا وغمنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم إنا نَسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نَسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، اللهم إنا نَسألك أن تُسدد أهدافهم ورميهم، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن توفق القائد المؤمن الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده لما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير للأمة العربية والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.